

مفاهيم القرآن

(76) حسرة طويلة أو دائمة، وأنَّ عمله هنا سيتجسَّد له في الآخرة، أشواكاً توَّاذيه أو وروداً تطيبه، وقد أقدم على العمل عن علم واختيار، فلو كان هناك لوم فاللوم متوجه إليه، قال سبحانه حاكياً عن الشيطان: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَ أَقُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدُوكُمْ لَفُتُكُمُ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمُ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلَا لُومُوا أَرْغَسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَزِيدُكُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكَتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1). وفيما مرَّ من الآيات التي تعد الجزاء الآخرى حرثاً للأنسان تأييد لهذا النظر، على أنَّ من المحتمل أنَّ الخلود في العذاب مختص بما إذا بطل استعداد الرحمة وإمكان الإفاضة، قال تعالى: (بَلَىٰ مِنْكَ سَبَبٌ سَيِّئٌ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). (2) ولعلَّ المراد من قوله: (وأحاطت به خطيئته) إحاطتها به إحاطة توجب زوال أيَّة قابلية واستعداد لنزول الرحمة، والخروج عن النعمة. وكيف كان فتظهر صحَّة ما ذكرنا إذا أمعنت النظر فيما تقدم في الجواب عن السؤال الأول وهو أنَّ الجزاء إمَّا مخلوق للنفس أو يلزم وجود الأنسان وفي مثله لا تجري شبهة التعادل بين الجريمة والعقوبة كما هو واضح. تمَّ الكلام في الأصل الأول من أصول المذهب، أعني: العدل الإلهي وركِّزنا البحث فيه على الموضوعات التي تطرقت إليها الآيات القرآنية. ومن أراد التبسيط فليرجع إلى الكتب المفصَّلة في هذا الصدد. ويليه البحث في الأصل الثاني وهو الإمامة والخلافة في الكتاب العزيز. _____ (1) إبراهيم: 22. (2) البقرة: 81.